الشيخ الفضيل الورتلاني بين الحركة الإصلاحية والدعوة الإسلامية

Article title: Sheikh Al-Fadil Al-Wartlani between the reform movement and the Islamic call

د. زيد مليكة *

جامعة الشهيد حمة لخضر، الجزائر

malikazid@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/09 تاريخ القبول 2021/06/08 تاريخ النشر 2021/07/05

ملخص:

تناول البحث حول شخصية فذَّة في تاريخ الحركة الإصلاحية والدَّعوية في الجزائر خلال النِّصف الأول من القرن العشرين وهو الشَّيخ الفضيل الورتلاني، والذي يعتبر انموذجا فريدًا للحاملين للمشروع الدَّعوي والإصلاحي الإسلامي في الجزائر خصوصًا والوطن العربي والإسلامي على وجه العموم، ونظرًا لأهمِّية الموضوع جاء البحث للتعرف عن أهمِّ مجالات نشاطه الإصلاحي والدَّعوي سواء الشَّخصي أو التَّابع لمهام وأهداف جمعية العلماء المسلمين .. والكشفِ عن أهمِّ المآثر والآثار التي خلفها في خدمة وطنه ودينه، كالحفاظ على مقومات الأمَّة لجزائرية والدفاع عنها من لغة ودين، والتحرر من الاستعمار وقيوده، متَّبع في ذلك المنهج الوصفي، ليتوصل إلى أنَّ الشيخ الورتلاني من خيرة عظماء ورجالات الإصلاح والدَّعوة في الجزائر، كانت له جولات وصولات عبر بلدان العالم الإسلامي ودول المشرق للتعريف بقضية بلاده ودعمها بالصَّوت العربي

* المؤلف المراسل

والإسلامي ماديًّا ومعنويًّا ، خلَّف آثار ضخمة من إصلاحٍ للعديد من القضايا الوطنية والعالمية ،وتأسيسٍ لعدَّة نوادي وجمعيات دينية، و له ممارسات دعوية ناجحة كالتأليف وإلقاء الخطب والمحاضرات.. تميَّز بقوَّة خطابه ذو الصِّيت المؤثِّر والذي نال به التفاف الصغار والشباب والكبار والشُّيوخ مستجيبين لنهضته وحركته ودعوته .

الكلمات المفتاحية : الحركة الإصلاحية ، الدعوة الإسلامية ، الفضيل الورتلاني .

Abstract:

The research dealt with a unique personality in the history of the reform and advocacy movement in Algeria during the first half of the twentieth century, namely Sheikh Al-Fadil Al-Wartlani, who is considered as a model for the bearers of the Islamic advocacy and reform project revealing the most important feats and effects he left behind in the service of his country and his religion, under the principle of preserving the characteristics of the Algerian identity defending it in terms of language and religion following a descriptive approach. He visited the Islamic world and the Levant countries to introduce the cause of his country and support it with the Arab and Islamic voice, financially and morally. He left important traces of reforming many national and international issues, establishing several religious clubs and societies, and having successful advocacy practices such as authoring, giving speeches and lectures ... he was distinguished by the power of his influential speech, by which the young, youth, adults and elders gathered together, responding to his renaissance, movement and call.

Key words: the reform movement, the Islamic call, Al-Fadil Al-Wartlani.

مقدّمـــــة:

في الوقت الذي بدأت حركات الوعي الدِّيني والسِّياسي تدبُّ في جسد الأمَّة العربية والإسلامية في المشرق أواخر القرن 19كان المجتمع الجزائري يعيش أوضاعًا مزرية ومتدهورة حيث الاستعمار والفقر والجهل والأحوال المعيشية القاسية ...،وكانت مجملها تدعو إلى نهضة الأمم بالفهم الصَّحيح لمقاصد الدِّين ومحاربة الاستعمار، وممَّن قادوا هذه

الحركات فئة من شيوخ وعلماء الجزائر أحيوا فكرة الإصلاح في جميع الميادين ولاسيما في الميدان العلمي و التَّعليمي والدِّيني والسياسي ، وهو ما سنسلِّط عليه الضَّوء خلال هذا البحث بالترَّكيز على شخصية إصلاحية هامَّة لم تنل من أهل الفكر والقلم حظه من العناية والتقدير، توارى عن أمَّته سنوات طوال فلم نر عنه إلاَّ كلمات قليلة من الأوفياء ،فكان من حقِّه علينا وعلى رجال الفكر والقلم في الجزائر أنْ نوفوا له ونقفوا على حياته وقفة الذاكر بالجميل اعترافا لما قام به من دور بارز في تنشيط الحركة الإصلاحية في الجزائر ،فكان من أعلام الفكر والأدب والسِّياسة والإصلاح خاض النِّضال السِّياسي على الجبهة الجزائرية مع الاحتلال الفرنسي، كما خاض النِّضال الفكري والإصلاحي والدعوي ،فاعتبر من أبرز أعضاء الحركة الإصلاحية والدعوية والسِّياسية في المشرق العربي ولما قام به للتَّعريف بالقضية الجزائرية وكسب دعم الشُّعوب العربية لها مادِّيا ومعنويًّا، وقدْ عرف عنه أنَّه كان شديد التَّأثُّر بالشَّيخ الإمام عبد الحميد بن باديس عليه رحمة الله، ولشدَّة ذكائه وحيويته ونشاطه انتدبه للقيام بالعمل الإصلاحي داخل الوطن وخارجه ولاسيما في فرنسا، إنَّه الدَّاعية والمصلح الشَّيخ الفضيل الورتلاني عليه رحمة الله.

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ الشَّيخ كان قدْ زار العديد من بلدان المشرق العربي في الفترة الممتدة ما بين 1955/1940م حيث اقترن بنشاطٍ فكري وسياسي وديني كان له تأثير بالغ وانعكاسات كبيرة على مساره الجهادي والإصلاحي والدعوي، وكان ذو شخصية قويَّة وذهنية خصبة وعقلية منفتحة وبديهة حاضرة ،وقوَّة في الخطاب، وهو الدَّافع الذي ساقني إلى اختيار هذه الشَّخصية العريقة الملهمة بالمآثر التي خلَّدها في خدمة القضية الجزائرية والتعريف بها وولائه لوطنه ودينه وعروبته، ولعمق الموضوع وأهمِّيته التَّاريخية والدعوية عمد البحث إلى تحقيق الأغراض التالية :

– تذكير ما خلَّده الشَّيخ الورتلاني من جهودٍ كبرى في استرجاع مقوِّمات الأمَّة الجزائرية ومحاربة التغريب وحدِّ لمحاولات تمسيخ الثقافة الإسلامية آنذاك، وسعيه في الحفاظ

على الدِّين واللُّغة التي حاول الاستعمار تزييفها وإزالتها وإحلال اللُّغات المحلِّية والأجنبية مكانها .

– اعتبار الشَّيخ الورتلاني ضمن قائمة الأسماء الخالدة في تاريخ الجزائر والذي أعطى النَّموذج الأمثل والصُّورة الحيَّة والنَّابضة للمصلحِ والدَّاعية النِّضالي .

ولفهمِ الجوانب النَّشطة في حياة الشيخ الورتلاني الإصلاحية والدعوية اِنطلقت هذه الورقة البحثية في بيان أهمِّية الإصلاح والدَّعوة إلى الله في تغيير وتعديل الأوضاع التي شهدتها الأوضاع الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي ،وأثرها في بناء شخصية الورتلاني ونموِّها، إضافة إلى الحديث حول المجهودات التي خاضها في الدِّفاع عن قضيَة بلاده وهويته ودينه الذي ارتضاه ،فكانت الإجابة انطلاقا من الإشكالية التَّالية :

– فمن هو الفضيل الورتلاني ؟

– فيما يتمثل نشاطه على مستوى جمعية العلماء المسلمين ؟

– ما هو الفكر الذي يحمله الشيخ الورتلاني ؟

– وما هي الأهداف التي وضعها الشيخ الورتلاني في غمار الأوضاع الجزائرية آنذاك إبَّان الاستعمار الفرنسي؟

– ما هي أهم نشاطات الشيخ الفضيل الوتلاني الدعوية والإصلاحية ؟

والحديث في جوانب هذا الموضوع وتفاصيله انطلق البحث اعتمادًا على الخطَّة التالية :

– المبحث الأوَّل : الشَّيخ الفضيل الورتلاني وعلاقته بجمعية العلماء المسلمين

– المبحث الثَّاني : الشَّيخ الفضيل الورتلاني وجهوده في الثَّورة

– المبحث الثَالث : حركة الشَّيخ الفضيل الورتلاني الإصلاحية

– المبحث الرَّابع : الممارسات الدَّعوية عند الشَّيخ الفضيل الورتلاني

المبحث الأوَّل: الشَّيخ الفضيل الورتلاني وعلاقته بجمعية العلماء المسلمين

إن العلاقة التي تربط بين الشَّيخ الورتلاني بجمعية العلماء المسلمين علاقة عهد ووفاء ،و علاقة نضال وجهاد، أفنى حياته في سبيل تمكين ونشر مبادئ الجمعية والسَّعي كلَّ السَّعي في تحقيق أهدافها داخليا وخارجيا ،ولتوضيح هذه العلاقة سأعرج بداية بالتعريف بشخصية الورتلاني في أسطر موجزة ،والتعريف بالجمعية من مختلف جوانبها، والتَّطرق إلى مهام وممارسات الورتلاني وعلاقته بالجمعية .

المطلب الأوَّل : التَّعريف بشخصية الشَّيخ الفضيل الورتلاني

يعتبر الفضيل الورتلاني الجزائري من أبرز الأعضاء الفاعلين في حركات الإصلاح في العالم العربي عموما والجزائر على وجه التَّحديد، كان له دور في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 وكان من أقرب الشَّخصيات للإمام عبد الحميد بن باديس والامام البشير الإبراهيمي رحمهما الله ،ساهم مساهمة فعالة في التمكين لمبادئ الجمعية في الجزائر ثم في فرنسا وفي بلاد المشرق، فما هو الشَّيخ الفضيل الورتلاني ؟

هو حسين الفضيل بن محمَّد السَّعيد بن فضيل المعروف باسم الفضيل الورتلاني واحد من قامات العلم و الفقه والجهاد في الجزائر ، ولد في 6 فيفري عام 1900 بقرية آنو بلدية بني ورتلان دائرة بني ورتلان ولاية سطيف[1]، وينحدر من أسرةٍ عريقةٍ اشتهر منها جدِّه الحُسين الورتلاني العالم والرَّحَّالة صاحب الرِّحلة المشهورة المسمَّاة"رحلة الورتلاني"،سجَّل فيها كل مشاهداته وانطباعاته أثناء رحلته إلى البقاع المقدَّسة لأداءِ فريضة الحجّ، واشتهر منها أيضا جدّه الأعلى سيدي أحمد الشريف الحسني البجائي العالم والفقيه وصاحب الزَّاوية المعروفة في نواحي بني ورتلان ، ولماَّ بلغ سنِّ العشرين جُنِّد للخدمة العسكرية الإجبارية واكتشف خلال ذلك ما كان يقاسيه الجزائريون من تمييز

واحتقار من جانب الفرنسيين،[2] وقدْ نشأ وترعرع في مسقطِ رأسه وبه حفظ القرآن الكريم، وزاول دراسته الابتدائية بالقرية المذكورة [3].

ينتمي إلى أسرة علمائية وثقافية و فكرية عريقة ،عرفت بالتَّمسُّك الشَّديد بالشَّرع الإسلامي وولاء مطلق للوطن الجزائري و للإسلام واللُّغة العربية، كان تحصيله العلمي و الشَّرعي في مسقط رأسه وعلى يد أقربائه الذين زقّوا فيه العلم زقا، وتلقى عنهم مبادئ الفقه والأصول والتَّفسير والنَّحو والصَّرف والبلاغة و غيرها من المعارف الإسلامية[4]، ولأنّ اثنين لا يشبعان جامع مال وجامع علم، فقدْ كان الشَّيخ الورتلاني من الصِّنف الثَّاني الذي آمن بأهمِّية العلم وضرورته، فقصد مدينة الأصالة والعراقة الحضارية قسنطينة ليتتلمذ على يد رائد الإصلاح في الجزائر الشَّيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله، وكان ذلك في العام 1928م، سعى جاهدًا أنْ يأخذ من الشَّيخ عبد الحميد بن باديس ما أمكنه من معارف شرعية ولغوية و قرآنية وطينة، وكان يتدرَّج في مسالك ومراتب العلماء والفقهاء بسرعةٍ كبيرة، حيث شهد له أترابه أنّه كان يقظ الذِّهن سريع البديهة، مستوعبًا لكلِّ ما يعطى له من معارف إسلامية، وما فتئ يتدرَّج في مدارج العلم حتىَّ أصبح مساعدًا للشَّيخ عبد الحميد بن باديس عليه رحمة الله في مجال التَّدريس بعد أربع سنوات من ملازمته له، فكان يدرك أهمِّية الشَّيخ الإمام ابن باديس عليه رحمة الله وعظمة مشروعه الإسلامي والوطني، فظلّ يتنقل معه من ولاية إلى أخرى، وكان الأوَّل ينشر فكره، والثَّاني يتعلَّم أساليب الوعظ والإرشاد والتَّأثير في الجماهير ،حتىَّ جمع كل هذه الملكات التي وهبها الله لروَّاد الإصلاح في الجزائر. [5]

المطلب الثَّاني : التَّعريف بجمعية العلماء المسلمين

ثمَّة عوامل وظروف أدَّت إلى ظهور جمعية العلماء المسلمين ،وقدْ اختلف الباحثين والدَّارسين وعلماء الفكر في تحديد هذه العوامل بدقَّة من ضمنهم ما ذكره الأستاذ الدُّكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله بأنَّها غير مدروسة إلى حدِّ السَّاعة ،رغم أنَّ معظم

الباحثين يستندون إلى المقولة التي ترجّح أنَّ الجمعية ظهرت كردٍّ فعل على الاحتفالات المئوية للاحتلال، خصوصًا بعد المقولة المصرَّحة من قبل بعض المسؤولين الفرنسيين: (إنَّ هذا الاحتفال أقيم لنصلي صلاة الجنازة على الإسلام والعروبة في الجزائر)[6] .

وما يشير إلى ذلك حسب ما أفرزته الدِّراسات على إثر هذه الاحتفالات أصدر الشَّيخ ابن باديس رحمه الله نداءً قويًّا سنة 1925م إلى العلماء المصلحين يدعوهم فيه إلى الوحدة والتَّعاون لتأسيس حزبًا وثيقًا من أجلِ تنقية الدِّين من البدع والشَّوائب، وإعاقة كافة مخطَّطات وأهداف الاستعمار.. وبمجرد وصول النِّداء إلى مسامع العلماء حتىَّ بادروا بتبنِّيه منهم الطيِّب العقبي، ومبارك الميلي، وغيرهم ونتاجا لهذا التَّظافر تشكَّل نادي التَّرقِّي [7] .

وإضافة إلى عامل الاحتفالات كانت زيارة العلامة محمَّد عبده للجزائر 1903م بداية ظهور الفكر الإصلاحي في الجزائر، وكانت هذه الزيارة ذات أثر كبيرٍ عليها وعلى أبنائها ممَّن يحملون راية الإصلاح والتَّغيير، فحدِّدت دعوته للإصلاح وإنشاء جامعة إسلامية مهمَّتها الحفاظ على مقوِّمات الشَّعب الجزائري،[8] ورافقتها دعوة جمال الدِّين الأفغاني عليه رحمة الله والتي لها أثر كبير أيضا في نشرِ الفكر الإصلاحي في الجزائر،كما كانت لمجلَّة العروة الوثقى والمنار تأثير كبير أيضا على المثقَّفين من أهلِ الجزائر تنشر دروس العقيدة للإمام محمَّد عبده وتلميذه رشيد رضا [9].

وظلَّ الجزائريون يقاومون المشروع التَّغريبي الفرنسي بمختلف تقلّباته والذي استهدف بالدَّرجة الأولى الدِّين واللُّغة، متمسِّكين بالرُّموز التي بقيت صامدة كالمساجد والكتاب والصُّحف النَّاطقة باللُّغة العربية والمجلات ..، تبعتها عودة العديد من المشايخ الذين درسوا في المشرق العربي مثل الشَّيخ الابراهيمي رحمه الله، والشيخ الطيِّب العقبي رحمه الله، والشَّيخ العربي تبسي عليه رحمة الله....وغيرها من العوامل الأخرى التي رافقتها كظهور الصَّحافة العربية الإصلاحية في الجزائر ، وظهور الطُّرق الصُّوفية والمنحرفين الذين أبعدوا

الدِّين الإسلامي عن أصوله الحقيقية، فاهتمُّوا باستغلال الفئة الجاهلة باستخدامها في أغراضهم الخاصَّة والتي لا تخدم إلا الوجود الاستعماري [10].

وعلى إثر هذه العوامل خرجت الجمعية إلى الوجود في الخامس من ماي عام 1931م مركز نشاطها الأوَّل نادي التَّرقي بالجزائر العاصمة، وهي جمعية علميَّة دينيَّة تهذيبية تدعوا إلى العلم وترغِّب فيه، وتعمل على تمكينه في النُّفوس بوسائل علنية واضحة لا تستتر ، تعلِّم الدِّين والعربية لأنَّهما شيئان متلازمان وتدعوا إليهما وترغِّب فيهما، كما تدعوا إلى مكارم الأخلاق التي حضَّ الدِّين والعقل عليهما لأنَّهما من كمالهما، وتحارب الرَّذائل الاجتماعية التي قبّح الدِّين اقترافها وذمَّ مقترفيها ،بغرضِ ترقية فكر المسلم بما استطاعت وترشده إلى الأخذ بأسباب الحياة الزمنية ،.... [11].

وانطلقت الجمعية على خلفيّةِ دعوةٍ أقامها مؤسِّسو نادي التّرقي لِعلماء الإسلام في الجزائر، ترتكز أساسا على تقديم الخدمة السّامية للدِّين والمجتمع بعيداً عن السِّياسة، شارك في تأسيسها أكثر من سبعين عالمَ دينٍ جزائري، ومن مُختلف المذاهب والأديان، ليعيِّنَ الإمام الشَّيخ ابن باديس عليه رحمة الله رئيسًا للجمعية والشَّيخ الابراهيمي عليه رحمة نائبًا له، نائب الكاتب العام الطيِّب العقبي، وأمين المال مبارك الميلي نائب أمين المال إبراهيم بيوض[12]،كما تمَّ تعيين لجنةٍ للعملِ الدّائم مهمّتها الأولى هي تنظيم أمور الجمعيّة وتنسيقها، والحفاظ على الوثائق الخاصّة بها، كما تعمل على إعداد ميزانيتها وضبطها.

وفور إعلان تأسيس الجمعية بدأت بممارسة أعمالها ونشاطاتها في 1928، وقد قام مجلس إدارة الجمعية بتنفيذ برنامجٍ خاص لها لِتحقيق أهدافها بالتَّعاون مع مجموعةٍ من العلماء الذين عادوا من أنحاءِ العالم العربي للمشاركة بهذه الجمعية وبرامجها، وكان من أبرز نشاطاتها التي قامت بها:

- إقامة المساجد، ودور العبادة.

- إنشاء المدارس و النّوادي.
- استقبال العلماء، وتيسير عملهم.
- تحفيز العمل التّربوي، وتنشيطه من خلال تقديمه في المدارس الحرَّة[13].

مجلّات أصدرتها الجمعيّة:

- جريدة السُّنة النَّبوية المحمَّدية.(أول جريدة تصدرها الجمعية 1351هـ /1933)
- جريدة الشّريعة النَّبوية المحمَّدية.(1933م تصدر يوم الاثنين من كل اسبوع)
- جريدة الصّراط السّوِي.(1933م،
- جريدة البَصائر(1935م/1939م) السلسلة الثانية ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية 1947م/1956).[14]

المطلب الثَّالث : علاقة الشيخ الورتلاني بجمعية العلماء المسلمين

انتقل الشَّيخ الورتلاني سنة 1928م إلى مدينة قسنطينة بهدفِ طلب العلم والاستزادة منه وهناك جمعته الأقدار بإمام النَّهضة في الجزائر الشَّيخ بن باديس عليه رحمة الله، فلازمه عدَّة سنوات طالبًا فمساعدًا ومستخلفا لدروسه، فتعلَّم عن أستاذه ابن باديس كيف يشحذ الجهاد في سبيل العلم والإسلام والعربية، فاختاره لتمثيل الشهاب عبر الوطن، وكان ينتقل باسمها في مختلف أنحاء القطر الجزائري ويدعو إلى الإصلاح، كما اختاره مساعدًا له في التَّدريس لبعض المناهج المقرَّرة من بداية السَّنة الدِّراسية 1933-1934،فقام بالمهمَّة خير قيام،وفي شهر أكتوبر عيِّن مدرِّسًا في مدرسة التَّربية والتَّعليم الإسلامية [15].

وكان الشيخ الورتلاني ملازما لأستاذِه ابن باديس عليه رحمة الله في الدَّرس والرحلة، وكان يشرف على تلاميذ الشَّيخ، يحمِّسهم ويدربهم على الخطابة، ويوقظ نائمهم، ويذكر غافلهم، وكان يكتب في صحف الجمعية ويوزِّعها، ثمَّ أرسله ابن باديس إلى فرنسا، لأنَّه قبائلي، وجل من كان في فرنسا من الجزائريين يومها كان قبائليا، ولأنَّه يتقن الفرنسية (

كان "يلبلب" بها كما حدث عنه فرحات عباس، فافتتح في ظرفِ عامين 30 ناديا ومركزًا ، 15 منها في باريس وحدها، وملأها نشاطا ومحاضرات ودروسا، بمن كان يستقدمهم من علماء ودعاة كانوا يَدرُسون في فرنسا، منهم: محمد عبد الله دراز، وعبد الرحمن تاج، وعمر بهاء الدين الأميري، والعلامة محمد عبد القادر المبارك... وفي القاهرة افتتح مكتبا لجمعية العلماء، وأنشأ اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر، وجمعية الجالية الجزائرية سنة 1942، وجبهة الدفاع عن شمال إفريقيا سنة 1944م، وكان هو أمينها العام، ورئيسها محمد الخضر حسين، ومن أعضائها: الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي المغربي، وحفيد الأمير عبد القادر الأمير مختار الجزائر،[16] .

وقدْ أوفى الشَّيخ الورتلاني حقَّ الوفاء في خدمة الجمعية وخدمة أهدافها السَّاعية لتحرير البلاد من سياسة الاستعمار المغرضة من اضطهاد وسلب الحقوق وانتهاك الحرمات..و القضاء على جميع مقومات الشعب الدينية والتعليمية .

المبحث الثَّالث : الفضيل الورتلاني وجهوده في الثَّورة

شهد للورتلاني مآثر عظيمة في مقاومته للاحتلال من خلال جهوده في الثَّورة التَّحريرية الكبرى ،فكان من أوائل من أيَّد وبارك هذه الثَّورة ،وذلك في يوم الثَّالث من نوفمبر 1954م أصدر بيانًا في الجرائد المصرية وغيرها بعنوان "إلى الثَّائرين الأبطال من أبناءِ الجزائر حياة أو موت بقاء أو فناء "وحتَّى تستكمل جمعية العلماء سياستها كحركةٍ دينية وسياسية في إجراء اتِّصالاتها بالقوى الإسلامية ،انتدبت لهذه المهمَّة لأهمِّ أعضائها وأكثرهم حيوية ونشاطًا الشَّيخ الفضيل الورتلاني عليه رحمة الله، والذي انتهز فرصة تواجده في دول العالم العربي والإسلامي وراح يعرِّف بالقضية الجزائرية فحثَّ على اعتراف دول المشرق العربي ممَّا جعلهم يوجِّهون له الحضور لمؤتمر العلماء المسلمين المنعقد بباكستان كمندوب على الجزائر، ونظرًا لقدراته والمؤهِّلات التي يتمتَّع بها عيِّن منتدبا عن

المؤتمر أمام كافة الهيئات والجماعات الإسلامية في العالم، وقدْ مكَّنه هذا المنصب من توثيق صلاته بالعديد من الزَّعامات الإسلامية والسِّياسية [17] .

سعى الشَّيخ الورتلاني يوصل اللَّيل بالنَّهار لخدمة الثَّورة الجزائرية التي آمن بمبادئها و منطلقاتها، فكان داعية إليها ،منافحًا عن مشروعها ومشروعيتها، و أدّى به العمل المتواصل إلى أنْ يصاب بمرضٍ فتاّك تمكنّ من جسده فلفظ أنفاسه في إحدى مستشفيات تركيا في 12 مارس 1959 م، وفي سنة 1987 نقلت رفاته من تركيا ليعاد دفنها في مسقط رأسه بني ورتلان[18] .

المبحث الرَّابع : حركة الفضيل الورتلاني الإصلاحية

شهدت حركة الورتلاني الإصلاحية العديد من الإصلاحات الفكرية والدِّينية والسِّياسية ليس على مستوى الأمَّة الجزائرية فحسب بل تخطَّت الحدود لتشمل بلاد المشرق العربي ،وقبل الحديث في تفاصيل حركة الشَّيخ الورتلاني الإصلاحية يستدعي منَّا بداية توضيح وبيان مفهوم الحركة الإصلاحية عند علماء الفكر والدَّعوة والإصلاح ليتَّضح للقارئ ما أشكل عليه من مفاهيم .

المطلب الأوَّل : مفهوم الحركة الإصلاحية

– الحركة الإصلاحية هي الحركة التي تبنَّت فكرة الاصلاح في العالم الإسلامي والوطن العربي ولاسيما في الجزائر أسَّسها الشيخ الإمام بن باديس رحمه الله ومن تبعه من رجالات الجمعية أبرزهم الشَّيخ الفضيل الورتلاني عليه رحمة الله .

– والحركة الاصلاحية التي تبنَّتها جمعية العلماء المسلمين ساهمت في نشر الوعي الدِّيني والوطني بين أبناء الشعب لجزائري لمقاومة مظاهر الجهل والتَّخلُّف الفكري والسِّياسي والدِّيني آنذاك، وإثبات الهوية الإسلامية من حيث الانتماء ومقومات

الشَّخصية الإسلامية لدى المواطن لتعزيز فكرة النُّهوض والتَّحرُّر من القيود التي فرضها الاحتلال بغرض القضاء على الكيان الدِّيني والوطني .

– والحركة الاصلاحية تعرف بأنَّها :(حالة الوعي والنَّهضة التي حاولت شخصيات جزائرية بعثها في المجتمع وهي ذات تكوين ديني وثقافة عربية إسلامية وذات بعد وطني)[19] .

وتعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أهم تنظيم إصلاحي في الجزائر إذْ عملت على إصلاح وتوعية الأفراد من البدع والخرافات التي تفشَّت في المجتمع بفعل السِّياسة الاستعمارية الفرنسية من جهة وانحرافات بعض الطرق الصوفية من جهة اخرى ..والحركة الإصلاحية في الجزائر كانت لها جذور وروافد من المشرق العربي الإسلامي ولعلَّ أبرزها وأعمقها هي الحركة التي اضطلع بها كل المصلحين من العلماء والمفكرين أمثال محمَّد عبده عليه رحمة الله ،وجمال الدِّين الأفغاني ...وغيرهم ، وهذه الحركة التي خدمها أبناء هذا الوطن كأمثالِ الشَّيخ ابن باديس عليه رحمة الله ،وسعيد الزاهري ومحمد بن خير الدِّين الأمين العمودي ... لمْ تكن حركة نخبة مثل غيرها من الحركات الإصلاحية التي سبقتها أو عاصرتها وإنَّما هي حركة إصلاحية نبعتْ من آلامِ وآمالِ الشَّعب واستهدفت أوَّل الأمر حياته ونهضته [20].

وممَّا ساعد على انتشار الحركة الإصلاحية بالجزائر فور تأسيس الجامعة الإسلامية التي ظهرت في أواخر القرن التَّاسع عشر، فبدأت تنضج أفكارها مع بداية القرن العشرين بظهور مجلَّة العروة الوثقى التي تركت تأثيرًا واضحًا في بعض الشُّيوخ بالجزائر والمتطلِّعين للإصلاح في مواجهة الطُّرق الصُّوفية التي استطاعت الإدارة الاستعمارية تحويلها من مراكز ثورية ضدَّ الاحتلال إلى زوايا تعمل بالتَّعاون مع الإدارة الاستعمارية، كما لعبت صحف أخرى دورًا في إيجاد أرضية للحركة الإصلاحية منها: المؤيد التي صدرت بين 1889و1913، والجزائر التي أصدرها محمَّد راسم سنة 1908 وأوقفتها الإدارة بعد

عددين من صدورها، ثمَّ عادت وصدرت سنة 1911 ،والفاروق التي أصدرها محمَّد بن قدور ،والراشدي التي صدرت بجيجل سنة 1912وغيرها ..[21] .

وقدْ اعتبرت زيارة محمَّد عبده إلى الجزائر سنة 1903 ذات بعد معنوي هائل خاصَّة بالنِّسبة لعلماء الدين والمثقَّفين الذين يشكِّلون حزب الشَّيخ محمَّد عبده في الجزائر ،ففضلاً عن وجوده الباعث على الحماس نسجِّل دلالات الحدث التَّاريخي التي استعادت الصِّلة العاطفية والرُّوحية بين الجزائر والكيان الواسع للأمَّة الإسلامية [22] فارتكزت مهمَّته دخول أفكار الإصلاح إلى الجزائر، وهناك من يجعله الرَّائد الأول للحركة الإصلاحية في الجزائر[23]، كما كان له الأثر في ظهور فئة مثقَّفة تدعوا إلى الإصلاح أبرزهم الأستاذ عبد القادر المجاوي من أشهر الجزائريين تأثُّرًا به، إضافة إلى علماء آخرين منهم عبد الحليم بن سماية ،وحمدان الونيسي، ومولود بم موهوب ....وغيرهم من المحافظين لأفكار التَّجديد والإصلاح الدِّيني والوطنية والجامعة الإسلامية .

المطلب الثَّاني :الحركة الإصلاحية للشيخ الورتلاني

الشَّيخ الفضيل الورتلاني كان من الذين قادوا الحركة الإصلاحية في الجزائر، امتدَّ نشاطه الفاعل والمؤثِّر في خمسِ دولٍ، وهو ما لمْ يتحْ لغيره ،فقد أثَّر بفكره وحركته ونشاطه وقيادته وتوجيهه في الجزائر وفرنسا ومصر واليمن ولبنان بما لم يتح بالقدر ذاته لغيره من قادة العمل الميداني..ساهم مساهمة فعَّالة في التَّمكين لمبادئ الجمعية في الجزائر، ثمَّ في فرنسا وفي صفوف العمال الجزائريين هناك، ثمَّ كان مسئولاً في القاهرة عن مؤسَّسة العمل التَّحرري في شمالِ إفريقيا كله، وفي صياغة التآخي بين فكر الإخوان المسلمين وجمعية العلماء المسلمين الجزائرية، ثمَّ تولى توجيه الحركة الإسلامية والوطنية في اليمن.[24]

وما تجدر الإشارة إليه أنَّ الشَّيخ الفضيل الورتلاني بجهوده البارزة في مجاليْ الفكري والإصلاحي منذ الفترة الاستعمارية وخضم الظُّروف العصيبة التي مرَّت بها الجزائر آنذاك استطاع أنْ يخوض بجهده الإصلاحي آفاقا جديدة للشَّعب الجزائري من خلال

محاضراته ونواديه وخطاباته داخل الجزائر وخارجها، ونظرا لذكائه وفطنته وقدراته العلمية والفكرية عيَّنه الشيخ بن باديس 1934م مساعدًا له في التَّدريس فانفتحت له آفاق واسعة لخدمةِ دينه ووطنه بما أوتي من علم ومقدرة وإصرار ،فساهم بفعالية في النَّشاط الإصلاحي الذي كان يتطلَّع من خلاله إلى تغيير أوضاع المجتمع الجزائري [25] وابتدأ يستخلفه في كثير من المناسبات والاجتماعات والتي كان يحضرها معه وهو لايزال طالبًا [26] الأمر الذي جعله شغوفا بالزِّيارات الميدانية والاتصال بطبقات الشَّعب الجزائري مكَّنه من ربط علاقة قوية مع أبناء وطنه، وقد لاقت دعوته – الورتلاني – استجابة أعداد كبيرة من الشَّباب الذين أقبلوا أفواجا للتلقي العلم والمعرفة والالتحاق بالدروس العلمية ،فكانت سنتي 1932م -1934 حافلة بالعمل والنَّشاط [27]،ليستغلَّ نشاطه في الاهتمام بالتَّربية والتَّعليم وتعميق الرُّوح الوطنية وحبِّ الوطن ، فحبَّب إليهم اللُّغة العربية وهي لغة القرآن ،ونبذ الأساليب الاستعمارية التي كانت تمارسها السُّلطات الفرنسية ومواجهتها [28].

وأمام هذه الجهود لمْ يكن نشاطه الإصلاحي مقتصرا على إصلاح حال الجزائريين وإحداث التَّغيير داخل بلاده فحسب ،بل امتدَّ بصره إلى العمال المغتربين في فرنسا ،حيث نزل في 22 جويلية 1936م بفرنسا مبعوثا عن جمعية العلماء المسلمين لنشر مبادئها الإصلاحية وتعهد شؤون المغتربين الدينية [29] وذلك قصد توعية الجزائريين المغتربين بفرنسا ، بحيث تمكَّن في ظرف سنتين ونصف من إحداث ما يزيد عن عدَّة مراكز للدَّعوة الإسلامية والرَّبط بين الجاليات العربية الإسلامية من جهة، وإسماع صوت الجزائر العربية المسلمة للعالمين الشَّرقي الإسلامي والغربي الأوروبي من جهة أخرى، فأخذ في إنشاء النَّوادي لتعليم اللُّغة العربية ومبادئ الإسلام ومحاربة الرَّذيلة والانحلال في أوساط المسلمين ا[30] مثل نادي التَّهذيب للدَّعوة الإسلامية [31] والذي بلغ عدد الطَّلبة الذين كانوا يتابعون دراستهم يفوق ألف طالب 1936م ـوعدد الوافدين من الكبار حوالي 1500-2000

طالب من العمال في أقل من سنة[32] وفتح نوادي التربية والتعليم على رأس كل نادي عالم جزائري [33] .

لقد لاقت حركة الشَّيخ الورتلاني العلمية والإصلاحية إقبالاً كبيرًا من المهاجرين ولمْ يعد مجهوده الفردي يكفي لتسيرها فقط ، فقدْ راسل جمعية العلماء لتزويده ببعض الوعَّاظ والمرشدين ،فعزَّزته بالعلماء على رأسهم الشَّيخ سعيد صالحي الذي ازدادت الحركة به نموًّا وازدهارًا أدَّى إلى كثرة النَّوادي الجزائرية بباريس ،وقدْ التحق به شيوخ آخرون الشيخ محمَّد صالح بن عتيق ،والشَّيخ الزاهي الميلي، والشَّيخ سعيد البياني ،للقيام بدروس الوعظ والإرشاد والتربية الاجتماعية وتعليم القراءة والكتابة في قاعات النَّوادي التي أسَّسها رجال هذه الحركة وإلقاء المحاضرات والدُّروس اليومية حيث كانت مواضيع المحاضرات تتمحور حول الثَّقافة الإسلامية وما يتَّصل بها من المواعظ والتَّوجيهات الاجتماعية [34] فانتهز فرصة وجوده في باريس ليتَّصل بالدَّارسين العرب في الجامعات الفرنسية، وتوثَّقت بينهم المودَّة والصِّلة، مثل العلامة محمَّد عبد الله دراز صاحب كتاب" دستور الأخلاق في القرآن الكريم"، والشَّيخ عبد الرَّحمن تاج الذي صار شيخًا للأزهر، والعلاَّمة السُّوري محمد المبارك، والشَّاعر عمر بهاء الدِّين الأميري، وقد أقلق هذا النَّشاط السُّلطات الفرنسية فضيقت على الشيخ الفضيل الورتلاني حركته، وجاءته رسائل تهدِّده بالقتل، فاضطُّر إلى مغادرة فرنسا إلى إيطاليا ومنها إلى القاهرة سنة 1940 حيث آثر الانتساب إلى الأزهر ليحصل على شهادته العالمية في" كلية أصول الدين والشريعة الإسلامية " مواصلاً جهاده القومي الوطني، للتعريض بالاستعمار الفرنسي في الجزائر وخدمة القضية الجزائرية وقضايا المسلمين عموماً، فأسس سنة1942 م" اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر "كما أسَّس سنة 1944 م جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا ثمَّ مكتب جمعية العلماء المسلمين في القاهرة سنة1948 م الذي استقبل فيه الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي سنة1952 م وقدْ صار عضواً في تنظيم حركة الإخوان المسلمين وكانت

تربطه صلة وثيقة بالإمام حسن البنا عليه رحمة الله ،ونظرًا لملكاته الخطابية وقدرته على الإقناع، أنَّه كان ينوب عنه حين يكون غائبًا عن القاهرة في إلقاء حديث الثلاثاء بالمركز العام لجماعة الإخوان،[35] ومن جهةٍ أخرى كانت له روابط متينة بالجمعيات الإسلامية المنتشرة في المشرق الإسلامي كجمعية عباد الرحمن ببيروت، هذه الجمعية التي ما فتئت تكن له صدق المحبة والولاء وأخلص الوفاء، ولمْ تتخل عنه في أحرج الظروف حينما تنكَّر له بعض الأدعياء من ملوك العرب وزبانيتهم المأجورين، ولقدْ خلدت بعض مآثره و قامت بجمع آثاره العلمية وطبعها في كتاب أطلق عليه اسم الجزائر الثَّائرة ،طبع هذا الكتاب سنة 1956 م على نفقتهم الخاصَّة، وأعيد طبعه سنة 1963 م .....

كما كان للشَّيخ الفضيل الورتلاني عليه رحمة الله صلات قويَّة ووثيقة بكثير من أعلام الإصلاح الإسلامي في المشرق العربي منهم أمير شكيب أرسلان، ومحي الدِّين الخطيب، ورشيد رضا، وجمال عبد الناصر، ومحمد مصدق، وعميد الأدب العربي طه حسين والعقاد وغيرهم ،فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، هدفه من ذلك توثيق عرى الأخوة بين أبناء الوطن الواحد، ومحاولة ربط الجزائريين بتيارات الفكر العربي المعاصر بعد أن ظلَّت الأبواب موصدة في وجوههم منذ ابتلائهم بالاستعمار و الامبريالية العالمية عبر العصور.[36]

فالشَّيخ الفضيل الورتلاني من الذين غيّروا مجرى تاريخ اليمن في القرن الرَّابع عشر الهجري، فحين وضع قدمه على أرض اليمن كأنَّما وضعها على (زرّ) دولاب تاريخها فدار بها دورة جديدة في اتجاه جديد، لأنَّ ثورة الدُّستور سنة 1367هـ - 1948م هي من صنع الورتلاني.. لقد كانت هناك معارضة يمنية وكان هناك نقد وتبرم ومنشورات ضد الدولة، وكانت هناك طموحات وزعامات و تحفزات ، وكل ذلك يصلح أنْ يكون وقوداً لثورة ما.. ولكن المعارضة كانت بلا تنظيم، واتجاهات زعمائها مختلفة ومتباينة، والمناشدون بالإصلاح ودعاة التَّغيير والتَّطوُّر لا توحِّدهم رابطة، والزَّعامات العلمية

والدِّينية والسِّياسية قدْ خدّرها الوهن، وجمدتها الأطماع، والتحفزات الوطنية ليس لها زعماء أكفاء ذوو مؤهلات قيادية، فلمَّا جاء الشيخ الفضيل الورتلاني عمل ما لم يعمله أحد من اليمنيين، فوحّد شتات المعارضة في الداخل والخارج، وارشد المطالبين بالإصلاح والمناشدين بالتَّغيير والتَّطوير إلى طرق العمل وجمعهم في رابطة وطنية، وقارب بينهم وبين أرباب الطموحات السِّياسية والزَّعامات العلمية والدِّينية والقبلية والتَّحفزات الإصلاحية من الناقمين والناقدين والمتبرمين، وصهر مجهوداتهم وأهدافهم واتجاهاتهم وآمالهم وأمانيهم في بوتقة الميثاق الوطني، وقد استطاع أن يقنع الرئيس جمال جميل بأنْ يؤلّف جبهة من ضباط الجيش لتأييد الدستور، وأنه هو الذي أعاد الثقة إلى قلوب الموشكي والشامي، وجعلهما يتعاونان من جديد مع الزبيري ونعمان في إطار الميثاق الوطني، كما استطاع إقناع الأمراء والعلماء والمشايخ والتجار والضباط والأدباء بمبايعة عبد الله الوزير إماما ثورياً دستورياً، ولولا حكمة وبداهة الشيخ الورتلاني ما توحّد الأحرار في اليمن ،فأطلق عليه مهندس ثورة 1367هـ - 1948م حقاً[37].

وكان يفترض بالشَّيخ الورتلاني أنْ لا ينجرّ وراء التَّنظيمات العربية و الإسلامية ، لأنَّ ذلك سيبعده عن قضيته الأم الجزائر، ويقحمه في صراع مع نظم وحكومات كان الورتلاني في أمسِّ الحاجة إلى دعمها للقضية الجزائرية وفي هذا السِّياق ،يقول عنه الأستاذ الكبير محمود عبد الحليم في كتابه "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ": (كان الفضيل الورتلاني شاباً جزائرياً من زعماء المجاهدين الذين طاردهم الاستعمار الفرنسي فهرب إلى مصر واتصل بالإخوان المسلمين وكان كثير التردد على المركز العام للإخوان المسلمين، حتى ليكاد يتردَّد عليه كل يوم باعتبار هذه الدار مركز الحركات التحريرية ضد الاستعمار في كلِّ بلدٍ إسلامي، كان الفضيل الورتلاني لماح الذكاء سريع الحركة كثير المعارف، لا يقتصر تحركه على ما يخص موطنه الأصلي – الجزائر – بل كان يرى العالم

الإسلامي وحدة لا تتجزأ، وأنه مطالب بتحرير كل جزء منه، واعتقد أن الفضيل الورتلاني كان أول من سافر إلى اليمن التي أطاحت بالإمام يحيى).[38]

ولأجلِ بلاده قام سنتي 1951/1950 بجولتين كبيرتين زار في الأولى سوريا وتركيا واليونان وإيطاليا وسويسرا وبلجيكا وهولندا وبريطانيا وإيرلندا وإسبانيا والبرتغال والمغرب وعاد إلى بيروت، وبعدها قام برحلة مشرقية أطول إلى الكويت وإيران والسعودية والبحرين وباكستان والهند وبنغلاديش وبورما و تايلاندا وماليزيا فإندونيسيا ،وكان في كلِّ بلدٍ ينزل فيها يخطب ويحاضر ويعقد النَّدوات الصُّحفية معرِّفًا بالقضية الجزائرية وكان بحق اصوات الجزائري الأقوى والأعلى آنذاك [39]، فكانت رحلاته فرصة لنصرة بلاده ومناسبة لدعوة القادة والشُّعوب العربية للنَّهضة وأشار إلى أنَّ نوادي التَّهذيب التي أسَّسها الرَّاحل في فرنسا نجحت في استقطاب المسلمين المغتربين إلى دينهم والاعتزاز بحضارتهم ما أثار مخاوف السُّلطة الفرنسية ولفت إلى أنَّ الشيخ الورتلاني ترك في المشرق العربي آثارا حسنة وسمعة مرموقة حتَّى أطلق عليه العلماء والقادة العرب لقب "المجاهد "منذ الأربعينات، وقال عنه التهامي مجوري نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين للأناضول: (أنَّ الورتلاني شخصية متفردة في طاقتها يملك طاقة إضافية وترك أثره في كلِّ مكان حلَّ به)[40].

لكنه بقي حياً في الوجدان الوطني والإسلامي، بجهوده الميدانية الشَّاهدة، وبأعماله المادية النَّاطقة بحبّه لوطنه، وأمَّته الإسلامية الكبرى، كما تعبّر عنها حشود من مقالاته في الصحف والدوريات الجزائرية، والعربية، والإسلامية عموماً، ممَّا ضمّ جانباً منه كتابه "الجزائر الثائرة"[41]وهو مجلَّد ضخم حوى كثيراً من عناصر التعبير عن معاناة الجزائر تجاه الاحتلال الفرنسي، ومعاناة العرب تخلفهم وتطاحنهم كمعاناة المسلمين تشرذمهم وتشتّتهم، محبباً التعاضد والاتحاد في بلده الذي أعلن ثورته، قائلاً عنه: (ليس في الجزائر اليوم من حيث الرأي والعمل إلاَّ هيئة واحدة اسمها ومسمَّاها الأمَّة الجزائرية الثائرة)[42].

المبحث الرَّابع : الدَّعوة الإسلامية عند الشَّيخ الفضيل الورتلاني

المطلب الأوَّل : مفهوم الدعوة الإسلامية

قبل الحديث عن ممارسات الشَّيخ الورتلاني في الدَّعوة الإسلامية والتي بدورها لا تستقلُّ عن مفهوم الإصلاح الذي اعتبره البعض من معاني الدَّعوة لا ينفك عنها، والإصلاح حسب ما تراه بعض الاتجاهات الفكرية هو التَّغيير والتَّعديل نحو الأفضل لوضعٍ شاذٍّ أو سيئ ولاسيما في ممارسات و سلوكات مؤسَّسات فاسدة أو متسلِّطة، أو مجتمعات متخلِّفة أو إزالة ظلم أو تصحيح خطأ أو تصويب اعوجاج ،[43]وقدْ يبدأ بالثقافة أو الدِّين أو المجتمع ولكنه في نهاية الأمر يغطِّي كلَّ مظاهر الحياة في مجتمع ما بما في ذلك السياسة [44] وأمَّا الدَّعوة فمفهومها أوسع وأشمل يعرفها :

– الدُّكتور رؤوف شلبي فيقول:(الدَّعوة الإسلامية هي حركة إحياء للنِّظام الإلهي الذي أنزله الله عزَّ وجلّ على نبيِّه الخاتم)[45]وهذا يدلّ أنَّ الدَّعوة إلى الله حركة دائمة ومستمرَّة، لا تعرف اليأس ولا القنوط، تحاول قمع جميع المعوِّقات وتحاول اِستغلال جميع الأسباب من أجل الوصول إلى الهدف [46].

– وعرّفها الدُّكتور صالح بْنُ علي أبو عرّاد بالقول: (بأنّها إبلا غ النَّاس دعوة الإسلام في كلِّ زمان ومكان ،بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين)[47].

– وعرّفها الدُّكتور أبو بكر الرَّازي في "كتابه الدَّعوة إلى الإسلام" بالقول: (الدَّعوة هي: قيام من له أهلية النُّصح والتَّوجيه السَّديد من المسلمين في كلّ زمان ومكان ،بترغيب النّاس في الإسلام اِعتقادًا ومنهجًا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة)[48] .

– ويعرِّفها محمَّد أمين حسن في كتابه "خصائص الدَّعوة الإسلامية" بالقول: (الدَّعوة هي تبليغ النَّاس جميعًا دعوة الإسلام وهدايتهم إليها قولاً وعملاً في كل زمان ومكان بأساليب ووسائل خاصة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم)[49] .

– ويعرفها الدُّكتور أحمد غلوش في كتابه "الدَّعوة الإسلامية" بالقول: (الدَّعوة إلى الله هي النِّظام العام والقانون الشَّامل لأمور الحياة ومناهج السُّلوك الإنساني التي جاء بها محمَّد ﷺ من ربّه وأمره بتبليغه إلى النَّاس وما يترتب عن ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة)[50].

– ويعرفها الدُّكتور رؤوف شلبي بالقول: (إنَّها دين الله الذي اِرتضاه للعالمين تمكينًا لخلافتهم، وتيسيرًا لضرورتهم، ووفاءً بحقوقهم ورعايةً لشؤونهم، وحماية لوحدتهم، وتكريمًا لإنسانيتهم وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم هي الضَّوابط الكاملة للسُّلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات)[51].

– وقد اعتبر البعض الدعوة هي العلم الذي يهتمُّ بنشر الدَّعوة وبلاغها إلى النَّاس جميعًا ، وكان ممَّنْ عرّفها بهذا المعنى الدُّكتور أحمد غلوش بالقول: (الدَّعوة هي العلم الذي تعرف به كافَّة المحاولات الفنية المتعدِّدة الرَّامية إلى تبليغ النَّاس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق)[52].

إنَّ هذه المفاهيم التي تتعلَّق بالدَّعوة ليست متعارضة ،بل تتَّفق في إعطاء صورة الدين الذي هو الدَّعوة ،فجميعها تصبّ في فلك التَّبليغ والإعلام والدِّين والعلم. وقدْ ظهر الشَّيخ الورتلاني كشخصيةٍ دعوية تاريخية على لسان جمعية العلماء المسلمين ...وخاصَّة في الفترة التي شهدت فيها الجزائر نهضة سياسية وثقافية كان لها أثر في مسار الحركة الوطنية والتَّصدي للاستعمار، فعُدَّ من أبرز الشَّخصيات الذي تهدف نهضته الإصلاحية إلى التَّحرُّر من سياسة الاستعمار ،ممَّا أعطى للنِّضال الوطني دفعا قويًّا أدَّى إلى ظهور حركات وطنية وجمعيات مهَّدت لمختلف الاتجاهات الرَّافضة لسياسة الاستعمار ما بين إصلاحي وجهادي ودعوي، وشيئاً فشيئاً أقبل الشَّيخ الورتلاني على أمور الدَّعوة إلى دين الله والعمل في هذا الإطار، والدعوة إلى تصحيح العقيدة والعمل على تنقيتها ممَّا علِّق بها من بدعٍ وخرافاتٍ مناقضة للدِّين والفطرة ،و محاربته للطُّرق الصوفية آنذاك فأنشأ

نوادي وجمعيات دينية لتصحيح مفاهيم الإسلام وإشاعة أفكاره وقيمه السَّامية التي حاول الاستعمار مسخها وتزييفها، كما دعا إلى تعليم اللُّغة العربية وتبليغ الدِّين وتعليم القرآن الكريم، فاعتمد في ذلك على قوَّة خطابه الدعوي ذات الأبعاد السِّياسية والوطنية والدِّينية المنبثقة من دعوته وثقافته، ففضلًا عن ذلك كانت خطاباته تحثُّ على وحدة العرب وتلاحم أطيافهم ومذاهبهم ووقوفهم بوجه الاستعمار، ومساهمته في إلقاء الخطب وتقديم المحاضرات من أهمُّها خاصة في أواخر 1937م وفي المؤتمر الإسلامي بتاريخ 18سبتمبر 1937م حيث ألقى خطابا مطوَّلاً تناول فيه ما يقوم به علماء الجمعية من نشاطٍ دؤوب في الخارج[53]،وفي زيارته لبعض مناطق الجنوب مثل وادي سوف لإلقاء الدروس والمحاضرات التَّوجيهية فوصل إليها 25 ديسمبر 1938م وخطب هناك في أثناء زيارته بعددٍ كبير من حضور منتقدًا الأوضاع السَّيئة التي تعيشها الجزائر في ظلِّ الاحتلال وشنّ هجوما على الطرق الصوفية التي وصفها بعلَّة العلل داعيا إلى إصلاح العقيدة الإسلامية بالعودة إلى منابعها الأصلية القرآن الكريم والسنَّة النَّبوية ونبذِ البدع والخرافات التي رسَّختها الطُّرق الصوفية الضالة في المجتمع الجزائري .[54]

كما قام بدعوة وزير الدِّيانة في يوم وصوله إندونيسيا إلى إلقاء محاضرة في أكبر مساجد في جاكارتا ،فاستجاب لذلك وأذيعت محاضراته بواسطة راديو جاكارتا ثمَّ توالت عليه الدَّعوات من الهيئات والأحزاب للتَّحدُّث إليهم في قضايا السَّاعة [55] .

وأثناء إقامته في مصر كانت له صلة قويَّة بأبرزِ الشَّخصيات الدِّينية وفي مقدِّمتهم الشيخ حسن البنا عليه رحمة الله المرشد العام للإخوان المسلمين، و الشبان المسلمين في مصر ،حتىَّ أنَّه كان يستخلف أحيانا المرشد العام للإخوان المسلمين الداعية الإسلامي الكبير الشيخ حسن البنا – رحمه الله – في محاضراته الإرشادية الأسبوعية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت له روابط متينة بالجمعيات الإسلامية المنتشرة في أطراف دنيا الإسلام والمسلمين منها: جمعية عباد الرحمن، ببيروت، هذه الجمعية التي ما فتئت

تكن له صدق المحبة والولاء وأخلص الوفاء، ولم تتخل عنه في أحرج[56] فخلَّدوا مآثره حيث جمعوا آثاره العلمية وطبعت في كتاب أطلق عليه اسم "الجزائر الثائرة "طبع هذا الكتاب سنة 1956 م على نفقتهم الخاصة، وأعيد طبعه سنة 1963 م، بالإضافة إلى ما كان يكتبه بقلمه حول كبريات الأحداث التي تجري في هذه الأقطار، فكانت له أعمال جليلة قام بها في المشرق العربي مساهمته في تأسيس بعض الهيئات والمنظمات السياسية التي سعى في تكوينها وأسهم في نشاطها بحظ موفور.[57]

ثمَّ قصد اليمن فكانت له فيه صولات وجولات في أمر الدعوة والفكر والسياسة، وجال في مدن اليمن وبلداتها يلقي الخطب والمحاضرات وينشر آراءه وأفكاره الدَّعوية في كلِّ مكان من ذلك القطر العربي الكبير، وربطته صلات قوية بعددٍ كبيرٍ من زعماء القبائل والمفكِّرين وأهل السِّياسية هناك، والتقى الإمام يحي حميد الدين وقدم له تقريراً رسمياً ضمنّه رؤيته حول النهوض بأعباء اليمن، وكان له اتصال بأعضاء جمعية الإصلاح وقادة حزب الأحرار المقيمين في عدن، واتَّهم بالمشاركة بثورة عبد الله أحمد الوزير، وبقتل الإمام يحي حميد الدين، فطلبته الحكومة اليمنية للتحقيق معه عقب إخماد ثورة ابن الوزير، ففرَّ إلى لبنان وقيل إلى سورية أيضاً متخفياً، ثمَّ قصد اسطنبول وعاش فيها إلى أن وافته المنية، وقد أصيب بأمراض مستعصية في أواخر سنوات حياته في أثناء وجوده في تركيا دخل بسببها إلى المستشفى وأُجريت له عملية جراحية فارق على إثرها الحياة ودفن في أنقرة، ثم نقلت رفاته إلى الجزائر سنة 1407هـ/1987م ودفن في مقبرة الشهداء بمسقط رأسه من جديد إلى جانب عدد من رفاقه المجاهدين.[58] وهكذا تابع الشيخ الورتلاني نشاطه الدعوي بثباتٍ وهمَّة عاليتيْن .

الخـــــاتمة

– خلاصة القول أنَّ العلامة الشَّيخ الفضيل الورتلاني رحمه الله يعتبر بحقٍّ من روَّاد الحركة الإصلاحية والدَّعوية والنَّهضة الفكرية في العصر الحديث، فعظمته تتجلَّى في أنَّه

صاحب رسالة إصلاحية ودعوية رائدة ذات الأبعاد العميقة ،ساهمت في إصلاح العديد من القضايا الوطنية والعالمية ،ضحَّى من أجلها منذ نعومة أظافره بكلِّ غالٍ ونفيسٍ، فقد هيَّأته الظُّروف في تكوينه الثقافي المتين، تحدَّى الصِّعاب وظلَّ كالطَّود الشامخ لا تهزُّه الأعاصير ولا النَّكبات ولا الدَّسائس والمؤامرات، عاش مجاهدًا بالقلم واللِّسان، وناضل طوال حياته دون ملل وبدون توقف.

– نضال الشيخ الورتلاني يتمثَّل في الدِّفاع عن شخصية الأمَّة الجزائرية بصفة خاصَّة والأمة الإسلامية بصفة عامة .

– الشَّيخ الورتلاني من خيرة وعظماء رجالات الإصلاح والنَّهضة في الجزائر هدفت رسالته لخدمةِ قضية وطنه ودفاعًا عن مبادئها المقدَّسة وحفاظا على ذوبان شخصيتها وخدمة دينه بنشر مبادئه وشرائعه ومدارسته كتبه.

– الشَّيخ الورتلاني ممَّن يستحقُّون أنْ تخصَّصُ من أجلهِ العديد من البحوث والدِّراسات حتىَّ تفوز به الأجيال الصَّاعدة وتتَّخذه نبراسا ومصباحًا تستضيء به في طريقها الطَّويل نحو غد أفضل .

– الحواشي والإحالات

---

[1] الفضيل الورتلاني ، الجزائر الثائرة ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009م ، ص 36.

[2] سعيد بورنان ، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830من 1962م ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2004م، ص 19.

[3] كتاب الجزائر الثائرة – نبذة عن حياة المرحوم الأستاذ الفضيل الورتلاني ص 36

[4] محمد الصالح الصديق ، أعلام من المغرب العربي ، ج2، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007م، ص 604.

[5] نبيلة لرباس ، نضال الشيخ الفضيل الورتلاني ودوره في وحدة المغرب العربي ،مجلة تاريخ المغرب العربي ، العدد 9،د، ت ، ص ص 351،352.

[6] سعد أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، بيروت ، الغرب الإسلامي ، ج4، 1996م ، ص 143.

[7] علي مراد ، الحركة الإصلاحية الاسلامية في الجزائر من 19251945، وزارة المجاهدين ، دار الحكمة ، ترجمة محمد يحياتن ، طبعة خاصة ، ص 146.

[8] محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية من 1830-1945 ، قسنطينة ، دار البعث ، ط1، 1985م ن ص 10.

[9] المرجع نفسه ، ص 12.

[10] رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر ، ط5، منشورات مؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ، 2001، ص 199.

[11] محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية من 1830-، المرجع السابق ، ص 114.

[12] محمد البشير الابراهيمي ، أنا ، مجلة القافة ن العدد 87، ص 23.

[13] جمعية العلماء المسلمين ،https://baytdz.com/dz/

[14] ينظر:صادق بلحاج ، الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الاصلاحي والتقليدي 1919-1939 .رسالة ماجستير ، جامعة وهران ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية ، قسم التاريخ ، 2012/2011،.ص ص 41-36

[15] نبيلة لرباس ، نضال الشيخ الفضيل الورتلاني ودوره في وحدة المغرب العربي ، المرجع السابق ،ص 351.

[16] عبد الغفور صيافه-،الفضيل الورتلاني رسول جمعية العلماء إلى العالمين.. أستاذ التضحية والتواصل والجهاد، الثلاثاء _13 _مارس _AH 13-3-2018AD, 23:52018
https://binbadis.net/archives/7384

[17] نبيل أحمد بلاس ، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990،ص 48

[18] يحي أبو زكريا ، الفضيل الورتلاني رجل الإصلاح و التنوير في الجزائ، تمت مشاهدته 2021/02/02م ، ،http://www.arabtimes.com/portal/article_display.cfm?ArticleID=15837،

[19] أبو بكر الصديق حميدي ، قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية (1954/1920) دار الهدى ، عين ميلة ، د،ت ، ص22.

[20] محمد الطاهر فضلاء ، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية دار البعث ، قسنطينة 1981، ص 50.

[21] عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954(ومن خلاله تاريخ المغرب العربي حتى الخلافة العثمانية) ط1، دار الامة ، الجزائر ، 2011ن ص 683.

[22] علي مراد ، الحركة الإصلاحية الاسلامية في الجزائر من 1940/1925، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي ، ترجمة محمد يياش دار الحكمة الجزائر 2007،ص 36.

[23] صالح بلحاج ، الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1939/1910 بن مرابط ن قسنطينة ، 2015، ص ص 248.249.

[24] محمد الجوادي، 28/3/2018، https://www.aljazeera.net/blogs/2018/3/28/
[25] منال السعيدي وأخر ،الفضيل الورتلاني في المشرق العربي 1955م 1940،المرجع السابق ، ص 66.
[26] عمر بن قينة ، اعلام واعمال في الفكر والثقافة والأدب ، اتحاد الكتاب العرب ، د،ط، دمشق ن 2000، ص 44.
[27] مفدي زكريا ،تاريخ الصحافة العربية في الجزائر ، انظر منشورات مفدي زكريا ، د،ط، الجزائر ، 2003. ص 37
[28] ثعبان حسب الله علوان الشمري ،واجهات الفكر الدعوي الاصلاحي للشيخ الورتلاني ، مج20 العدد 82،مجلة كلية التربية الاساسية كلية المستنصرية ،بغداد ص ص 482،481.
[29] عمر بن فينة ، أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب ، المرجع السابق ، ص 44.
[30] رابح عمامرة ، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي في الجزائر ، منشورات anap، ط5، 2001، ص 460.
[31] عبد الله العقيل ، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة ن دار البشير ، ط7، ج1، 2008م ، ص 692.
[32] أحمد جمال زواري ، الدور الإصلاحي للإمامين عبد الحميد بن باديس وحسن البنا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الواي ، 2015/2014.، ص 84 ومنال السعيدي وآخر ، الفضيل الورتلاني في المشرق العربي 1955م 1940، المرجع السابق ،ص 73.
[33] أحمد جمال زواري ، الدور الإصلاحي للإمامين عبد الحميد بن باديس وحسن البنا ،المرجع السابق ،ص 84.
[34] منال السعيدي وحورية سيف ،المرجع السابق ، ص ،ص 77،79
[35] الفضيل الورتلاني https://www.ikhwanwiki.com/index.php?title
[36] الفضيل الورتلاني ، الجزائر الثائرة ،المرجع السابق ، ص 64.
https://binbadis.net/archives/3121 الجمعة 23 يونيو 2017 بتاريخ 20:45
[37] عبد الله العقيل ، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة ، دار البشير ، ج1، ط8، 2008م، ص 699.و نبيلة لرباس ، نضال الشيخ الفضيل الورتلاني ودوره في وحدة المغرب العربي، المرجع السابق ، ص355.
[38] رشيد جوجو، أعلام الجزائر ،http://rdjoudjou.freehostia.com/PAGES/
[39] الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، الجزائر ، دار الهدى، ط:2، 1992 ، ص62.
[40] حسام الدين إسلام /الأناضول-،سفير-تحرير-الجزائر-المكرم-28-عاما-بتركي،الفضيل الورتلاني ، https://elwassat.dz/، بتاريخ 20 يوليو 2020، تمت مشاهدته الاحد 2021/5/9معلى الساعة 12:16
[41]
[42] الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، المرجع السابق ، ص:68،

43 عبد الله بلقزيز ، أسئلة الفكر العربي المعاصر ، الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الأيوبية ، 1998م ، ص 13.

44 أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج3ن ط3ن المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986م ، ص 88.

45 رؤوف شلبي، الدَّعوة الإسلامية في عهدها المكِّي منهاجها وغاياتها (دار القلم، ط3 ، ج1، د، ت)، ص 32.

46 محمَّد أمين حسن محمَّد بني عامر، فقه الدَّعوة أساليب الدَّعوة، جامعة اليرموك ، 1999م ، ص 5.

47 صالح بْنُ علي أبو عراد، الدَّعوة إلى الله من خلال الأنترنت، مقال، كلِّية المعلمين في أبها، 1426هـ ،ص 5.

48 أبو بكر الرَّازي، الدَّعوة إلى الإسلام (القاهرة : مكتبة دار العروبة ، د ،ت)، ص 8.

49 محمَّد أمين حسن محمَّد بني عامر، من فقه الدعوة أساليب الدَّعوة ، المرجع السَّابق ، ص 9.

50 أحمد أحمد غلوش، الدَّعوة الإسلامية، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، ط2، 1407هـ/ 1987م، ص 13.

51 رؤوف شلبي، الدَّعوة الإسلامية في عهدها المكِّي منهاجها وغاياتها، دار القلم ، ط3، ج1، د، ت ، ص 23.

52 أحمد أحمد غلوش، الدَّعوة الإسلامية، المرجع السَّابق، ص 14.

53 منال سعيدي وحورية سيف ، المرجع السابق ، ص 82.

54 ثعبان حسب الله علوان الشمري ، المرجع السابق ، ص 485.

55 عفاف بوطة واخر ،دور الشيخين محمد الخضر حسين والفضيل الورتلاني في دعم القضايا العربية 1900-1958م دراسة مقارنة ، شهادة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، قسم العلوم الانسانية ، 1439، 2018، ص 42.

56 الفضيل الورتلاني ، الجزائر الثائرة ، المرجع السابق ،ص 39

57 الفضيل الورتلاني ، الجزائر الثائرة ، المرجع السابق ،ص 41

58 الوَرْتَلانيّ (الفُضَيْلُ .)(1318 . 1378هـ/1900 . 1959م)

http://arab-ency.com.sy/detail/11218، لتصنيف : التاريخ و الجغرافية و الآثار النوع : أعلام ومشاهير المجلد :المجلد الثاني والعشرون للموسوعة العربية ، ص208.